النقل والتنقل ودوره في إندراس حاضرة سجلماسة وبروز قصر تابوعصامت خلال العصر الحديث

Transportation and its role in the fall of the city of Sijilmassa, and the emergence of Qasr Tabou 'Asamt in the modern period.

عبد العالي المتليني.
مركز تفكر للأبحاث والدراسات؛ مكناس؛ (المغرب).
البريد الالكتروني: *abdelaali.metlini@gmail.com*

تاريخ الإرسال: 12/ 06/ 2020؛ تاريخ القبول: 27/ 09/ 2020؛ تاريخ النشر: 21/ 12/ 2020.

الملخص:

شكلت المسالك والطرق التي اختطتها القوافل التجارية بين الموانئ والمدن المغربية، وإفريقيا جنوب الصحراء طيلة العصر الوسيط، عنصر ازدهار ونمو للحاضرة السجلماسية، بحيث مكنتها التجارة مع بلاد السودان، ثم المدن الشمالية والشمالية الغربية للمغرب، ومع باقي الأقطار المغاربية، من أن تصبح ملتقى لعدة تيارات تجارية قادمة من كل الاتجاهات، فباتت معها قاعدة للحكم بالنسبة للعديد من الدول الوسيطية المغربية، ومحط تربص قوى سياسية في الشمال الإفريقي في هذه الفترة، بل تجاوز الأمر هذا الوضع، عندما أقدم أحمد المنصور السعدي(1578 -1603م) على محاولة إحياء التجارة الصحراوية (التي مر جزء مهم منها من بلاد سجلماسة) لإرجاع المغرب لسابق توهجه، عبر التوسع على حساب بلاد السودان الغربي.

لم تكن تحولات ضفتي المتوسط في العصر الحديث رحيمة بموقع ودور سجلماسة في التجارة الصحراوية، لكون عنصر النقل والتنقل ظل عصب كل التحولات التي عاشتها المدينة، ومعها المغرب ككل خلال العصر الحديث، فقد فقدت هذه الحاضرة بريقها، وتركتها معظم

المنارة للاستشارات

القوافل المتجهة إلى بلاد السودان، عندما ولت وجهها شطر المنطقة الغربية (مثلا ميناء الصويرة)، لكن دون أن تنمحي -بشكل تام -أثار حوافر تلك الدواب التي اجتازتها، واستمرت ترسم معالم تلك "المريرات" (تعبير محلي يطلق على أثار حوافر الدواب) التي تنتهي إليها، وتأبى إلا أن تحفظ لها خريطة تشعباتها في الجبال، وفي الفيافي والقفار، وظلت على قلتها - أي القوافل -تقصد ورثتها من القصور، بدءا بتابوعصامت، وانتهاء بسوق "أبو عام"، فكان لهما فضل المحافظة على استمرار جزء من أدوارها في الفترات اللاحقة لاندراس سجلماسة.

إن الهدف من هذه الدراسة، هو إبراز الحضور المستمر لتافيلالت في الدينامية السياسية والاقتصادية للمغرب في التاريخ الحديث، ثم إظهار تشبث الإنسان الفيلالي بالإسهام في بناء صرح هذه الدولة على مر الزمن، وانطلاقا من هذا الموضوع الذي اصطفيناه للبحث والتقصي في هذا الذي نريد، كان لزاما علينا أن نأتي بما يثبت صحة ما ندعي ونزعم. فكان اختيار قصر "تابوعصامت" وريث حاضرة سجلماسة بيت قصيدنا، ثم إبراز أدواره الاقتصادية والسياسية بعد أفول نجم سجلماسة أسمى أمانينا، ومحل الجواب الذي يمكن أن يدعم تفكيك والرد على اشكاليتنا موضوع هذه المقال.

الكلمات المفتاحية: سجلماسة؛ النقل والتنقل؛ العصر الحديث؛ القوافل التجارية؛ تابوعصامت.

Abstract:

The routes and roads that the commercial caravans planned between the Moroccan ports and cities, and sub-Saharan Africa throughout the medieval period, constituted an element of prosperity and growth for the present record diamond, so that trade with the countries of Sudan, then the north and northwestern cities of Morocco, enabled them to become a meeting place for several trade currents coming from each Trends, and from being a rule for governance for many of the Moroccan mediating states, but even exceeded this situation, when Ahmed Al-Mansour Al-Saadi (1578-1603 AD) attempted to revive the desert trade (which an important part of it passed from the country of Sijilmassa) by expanding at the expense of land West Sudan.

The shifts of the two shores of the Mediterranean in the modern era were not compassionate with the location and role of Sijilmassa in the

المنارة للاستشارات

desert trade. Among her roles in Qasr Tabou 'Asamt in later periods.
Key words: Sijilmassa; Transport and Mobility; Modern Age; Commercial Caravans; Qasr Tabu`samet.

مقدمة:

شكلت سجلماسة أحد أبرز الحواضر بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، أورد البكري بهذا الخصوص ما يلي: "ومدينة سجلماسة بنيت سنة أربعين ومائة...، وهي كثيرة النخل والأعناب وجميع الفواكه، وزبيب عنبها المعرش الذي لا تناله الشمس لا يزبب إلا في الظل، ويعرفونه بالظلي"(البكري،أ.ع.ا:138)، فبلغ صيتها الأفاق، وكانت مقصد المقيم والمرتحل في بلاد المغرب الأقصى لقرون عديدة، وتربصت بها قوى محلية وخارجية بغرض السيطرة عليها، سواء الدول المتعاقبة على عرش المغرب الأقصى، أو تلك التي تنتمي إلى الدول الأخرى القريبة، كالفاطميين الذين لم يكونوا أقل حماسا عن غيرهم في إخضاع هذه الحاضرة، التي كان وزنها ذهبا بالنسبة لهؤلاء جميعا، والذهب فعلا هو ما رفع مكانتها ضمن باقي الحواضر الأخرى. فمحيطها القريب، والأسواق التجارية في العمق الإفريقي، ظلت تتفضل على تجارها بعشرات القناطر من هذا المعدن النفيس، الذي حرك عشرات القوافل التجارية من الاتجاهين، للتوجه إلى سجلماسة لبيع ما أنتجته أيادي صناع هذه البلاد، أو لإيصال بضائع كل من أسواق الطرفين نحو الوجهة المقابلة، وكانت أعداد القافلة الواحدة أحيانا تعد بالمئات، فأسهم ذلك في غنى تجار القطر السجلماسي، فابتنوا الديار، و أقاموا في هذه الحاضرة دون غيرها من الأمصار، وأصبحوا أسيادا في تلك البلاد علما ومالا وجاها.

ولإلقاء الضوء على جانب من التحول الذي أحدثه النقل والتنقل ببلاد تافيلالت خلال العصر الحديث، كان علينا أن نجيب على الإشكاليتين التاليتين: كيف أمكن لقصر تابوعصامت ضمن عشرات القصور التي ألفت النسيج العمراني لتافيلالت من كسب صفة وريث أدوار سجلماسة في العصر الحديث واستمرارها؟ وكيف أسهم النقل والتنقل في أفول نجم سجلماسة وصعود نجم تابوعصامت؟

لمقاربة هذا الموضوع، ولكشف جانب من خفاياه، أصبحنا ملزمين بإتباع منهج في التحليل، يرتكن إلى "المنهج الاستنباطي"، قاصدين منه المساعدة على فك

المنارة للاستشارات

خيوط قضيتنا هذه، لهذا، عرضنا في إطاره -باختصار - للتعريف بأهمية حاضرة سجلماسة مكانة وموقعا، ودور العامل البشري في قوتها طيلة العصر الوسيط، ثم كان وجوبا علينا الوقوف عند التبريرات التي فسرت انهيار المدينة بدون سابق إنذار، وخلصنا إلى دور تحول المدينة إلى أطلال في انتقال ثقلها الاقتصادي -في مستوى من المستويات - إلى قصر تابوعصامت، محاولين إبراز بعض هذه الأدوار في التاريخ الحديث للمغرب.

ذلل لنا هذا، الاعتماد على عدة مصادر ودراسات تتناول تاريخ المنطقة، ومنها: "وصف إفريقيا" للحسن الوزان، و"سجلماسة وإقليمها" للأستاذ حسن حافظي علوي، و"عمران سجلماسة: دراسة تاريخية وأثرية " للأستاذ لحسن تاوشيخت. وغيرها.

1- أهمية موقع سجلماسة في سيرورة التجارة الصحراوية:

أ- أهمية موقع سجلماسة:

مثلت المدينة صلة وصل بين مدن الشمال الإفريقي وإفريقيا جنوب الصحراء من جهة، والمشرق العربي من جهة أخرى، وبسبب موقعها الممتاز، لعبت المدينة دورا رياديا في تجارة القوافل الصحراوية، وتحكمت فيها لمدة طويلة، وكانت سببا في ازدهارها سياسيا اقتصاديا وثقافيا وعمرانيا، بحيث مكنتها هذه الوضعية من بسط نفوذها على مناطق قريبة وبعيدة، فوصل تأثيرها التجاري إلى أحواز فاس ومراكش ودرعة، وصفها أحد الباحثين بقوله: "عاصمة تجارية تقع في الضفة الشمالية للصحراء، تراقب وتسيطر على جزء من تجارة القوافل بين دول إفريقيا السوداء والمغرب والمشرق، فالبكري والإدريسي وبعدهما ابن بطوطة، ثم ليون الإفريقي(الحسن الوزان) وصفوها بأنها مدينة تمثل مركزا تجاريا نشيطا ومزدهرا، فكانت بذلك أساس الوحدة والاتصال بين عالمين" (Lessard, J.M.:5)، وما كان بإمكان هذه القطاع -يعني التجارة - أن يسهم في ازدهار حاضرة سجلماسة لولا ازدهار الفلاحة والصناعة التقليدية المحلية، إلى درجة شبهها ابن بطوطة بالمدن الصينية (تاوشيخت، ل، **واحة** .1993: 7).

ب - الأهمية الاقتصادية لسجماسة في العصر الوسيط.

ساهمت وفرة المادة الأولية بسجلماسة من فضة ونحاس(وجود مناجم غنية بالمنطقة) وجلد...، في ازدهار التجارة بهذا الموقع الصحراوي المتميز، جاء في متن

المنارة للاستشارات

أحد الدراسات ما يلي: "سجلماسة قصبة جليلة، عليها نهر بمعزل عنها يفرغ في قبلتها، عليها سور من طين، وسطها حصن يسمى العسكر، فيه الجامع ودار الإمارة، بإقليمها معادن الذهب والفضة، ضربت فيها كثير من الدنانير المرابطية، أقدمها ضرب سنة 450هـ، واستعملت أيضا كدار لضرب الدنانير والدراهم في عهد الموحدين، وأقدم دينار موحدي ضرب بها كان بين سنتي 550 و563هـ"(بن ساعو،م.2013 -2014: 62)، كما عرفت أيضا صناعة السبائك والحلي والأواني، والذهب المستورد من إفريقيا جنوب الصحراء، يضاف إليها حياكة النسيج، حيث اشتهرت المنطقة بالحايك الفيلالي، وهذا كان في سياق ازدهار عدة حرف بالمدينة، والتي مكنتها من تصدير فائض الإنتاج نحو الأسواق الإفريقية، وحتى إلى الأندلس، ولا ننسى في هذا المقام تطور الصناعة الخزفية والخشبية المعتمدة على الأشجار المحلية والمستقدمة من الأطلس المجاور، علاوة على التميز داخل قطر المغرب الأقصى في صنعة الدباغة والخرازة واتقانهما (تاوشيخت،ل، **واحة** .1993م: 18 -20)، أورد "نقولا زيادة" الآتي: "كانت منطقة سجلماسة تتمتع بمناجم الفضة والذهب، ومن ها هنا كان لها مورد لم يكن له في تاهرت له مثيل، إلا أن المدينتين قامت فيهما صناعات متقدمة، فالمنتوجات الصوفية والكتانية والحريرية الجيدة عرفت في المنطقة الواسعة، وكان صناع المدينة يجيدون إلى ذلك صنع أواني الخزف البراقة، والتحف المعدنية والعطور،...، وكانت سجلماسة أيضا تصنع الثياب والأزر الصوفية،...، كما كانت سجلماسة تصنع السكر وتتاجر بالملح"(زيادة،ن.2002: 136)، فساعد توافر هذه المنتوجات في تنشيط التجارة الصحراوية، إلى درجة أصبحت معه المدينة متحكمة في تجارة ذهب السودان، فأنشأت بها مراكز لسك النقود (أنظر التعليق رقم:1)، ثم أهّلها هذا الوضع لتكون محط أطماع كل الدول الوسيطية المتعاقبة على حكم المغرب، وحتى الدول القريبة والبعيدة -كالفاطميين بالقيروان - خلال العصر الوسيط (Lessard, J.M.:5)، كتب أحد الباحثين في هذا المضمار ما يلي: "يرجع السبب الرئيس للتنافس المريني -الزياني على سجلماسة، كونها محطة أساسية في التجارة مع بلاد السودان، حيث كانت قطبا تجاريا هاما لما يمر عبرها من سلع بالغة القيمة والأهمية، ولهذا أصبحت من أغنى مدن بلاد المغرب"(بن ساعو،م.2013 -2014: 28)، فوفد إليها التجار من أكبر المراكز

المنارة للاستشارات

التجارية المغربية حينها، وجمعوا بها ثروة هائلة، يقول عنها العمري استنادا لما كتب هذا الباحث الأخير: "إن السجلماسيين كانوا أغنياء، ويتّجرون مع بلاد السودان، فهم يصيرون إلى هاته البلاد الملح والنحاس، ويستوردون منها بالمقابل الذهب"(بن ساعو، م.2013 -2014: 28).

ج ـ وسائل النقل والتنقل وأهميتها في ازدهار حاضرة سجلماسة:

كانت القافلة الوسيلة الملائمة للتجارة الصحراوية، تتكون عادة من عدة مئات من الدواب، ومن رئيس القافلة، ومن مرشد، ثم من التجار والخدم، وكان الجمل الحيوان الأمثل في تجارة القوافل لأنه يتحمل العطش، ويحمل ما بين مائة ومائة وخمسين كيلوغرام، أورد القلقشندى ما نصه: "لا يدخلها إلا الإبل المصبرة على العطش"(القلقشندي، أ.أ. 1915: 163)، وكانت القوافل بسبب قسوة المناخ تقوم برحلتين في السنة، في فصل الربيع والخريف، والاقبال عليها من القوافل يرتبط بما ضمت هذه المدينة المهمة قبل خمس قرون من خلق كثير، فوصل عدد سكانها عند الذروة مائة ألف نسمة، فكانت بهذا المدينة الأكبر والأبرز بالصحراء حينها، كما عرفت ازدهارا كبيرا في القرن السابع والثامن الميلاديين، بحيث كانت سوقا مهمة للقوافل التجارية الصحراوية التي تبيع العبيد، ومنتوجات إفريقيا السوداء، وأيضا التمور والحبوب، فكانت التجارة بذلك تلعب أحد أبرز الأدوار في ازدهار وغنى هذه الجهة: "تشبه سجلماسة القيروان فيما يتعلق بصحة الهواء ومجاورة السهوب الصحراوية، وتجارتها المستمرة مع بلاد السودان والبلدان الأخرى، وأرباحها الوافرة وقوافلها التجارية التي خلفت بعضها البعض، وكرامة سكانها، ...، فالكمال من أعرافهم ومكملاتهم .إنهم يتميزون في طريقة تعاملهم مع الآخرين في المنطقة المغاربية، في طريقة معاملتهم للآخرين وفي عاداتهم، ويتصرفون بصراحة كبيرة" (Hadrien,C : 17)، حتى قيل يوما إن قافلة تجارية واحدة، ضمت ألفا وستمائة جمل كلها محملة، وعلى ما يبدوا أن سكان هذه المنطقة خلال هذه الفترة كانوا أثرياء، وعلى علم بغنى الجهة على مستوى المعادن، وخاصة المعادن النفيسة (Bescond,J.M.1953: 3).

وبخصوص أهمية الطرق، فلم تكن تقاس بالمسافات، بل بمناسبتها للتبادل وللربح، فدور القافلة الصحراوية لم يكن هو نقل السلع من المغرب إلى السودان مباشرة، وجلب بضائع من هناك، بل كانت القافلة عبارة عن سوق

المنارة للاستشارات

متنقل، وحركة بيع وشراء مستمرة، فكانت القافلة أحيانا تفرغ كل حمولتها تقريبا في "تغازة"، لتحمل الملح قصد بيعه في السودان (علمي،أ.1999 -2000: 295).

أما الطرق المستعملة للتجارة بين سجلماسة والمدن المغربية عبر الزمن فتتمثل في (تاوشيخت، ل، **واحة** .1993م: 22 -23؛ بن دادة،ن.2014 -2015: 74):

المسلك الطرقي	المدة باليوم	المسلك الطرقي	المدة باليوم
- من سجلماسة:		من سجلماسة:	
إلى درعة.	حوالي 6 أيام	إلى تلمسان (انظر التعليق2)وحنين(بنخروف،ع.1983: 312).	حوالي 16.
إلى تمدولت	" 11 يوما.	إلى نول لمطة.	13 إلى 15.
إلى أغمات ومراكش	" 13 " .	إلى تغزة.	حوالي 20.
إلى فاس	من 8الى 13	إلى القيروان (البكري، أ.ع.أ. المسالك:841).	30 إلى 50.
إلى سبتة	حوالي 12 يوم	إلى أودغشت.	حوالي 51.
إلى مليلية	حوالي 16 "	إلى أوليل.	حوالي60.
		إلى غانة.	حوالي 61 (القلقشندي،أ.أ. 1915: 163).
		إلى التكرور.	حوالي 90.

يتضح من الجدول تنوع وكثافة الطرق التجارية المرتبطة بالديار السجلماسية، كما يظهر تفاوت المسافات، واختلاف المدد التي يحتاجها الانتقال بين المراكز التجارية المتصلة بسجلماسة محليا وجهويا، ويدل طول المدة التي تقطعها القوافل للوصول إلى بعض المواقع البعيدة (كبلاد التكرور) على تشعب العلاقات التجارية لهذه المدينة، ثم الطلب على منتوجاتها المصنوعة محليا، أو العابرة لترابها من الشمال والجنوب والشرق، ومن جهة أخرى، فهو يعبر عن الإقبال الذي كان على منتوجات السادة السجلماسيين كتجار أو وسطاء في تجارة بلاد السودان، والمغرب الأوسط والأدنى، وربما حتى مع بلاد الشرق، مما يؤصل لعراقة العلاقات السجلماسية -المغربية مع بلاد جنوب الصحراء، والمغرب الكبير

المنارة للاستشارات

بالتوصيفين الحاليين.

أما الطرق التي سلكتها القوافل على الأقل من المراكز التجارية في الشمال إلى سجلماسة، فهي تقريبا تلك التي تسلكها وسائل المواصلات الحديثة منذ بداية القرن 20م - خاصة بالمجال المغربي الحالي - (Lessard, J.M.:7)، فهي تنطلق من فاس إلى فج "تيزي ن تلغمت"، ومنها تسير بمحاذاة واد زيز إلى أن تحل ببلاد تافيلالت موطن سجلماسة التاريخية، ثم منها إلى بلاد السودان، كما تتصل بباقي المراكز التجارية الأخرى في الشرق والغرب.

وفيما يلي تبيان للفروق الزمنية بين سجلماسة وبعض المدن التجارية الأخرى:

- من 5 إلى 6 أيام للوصول الى مطماطة أمسكور أو ورزازات.
- تقريبا 8 أيام للوصول إلى فاس بأسرع طريق.
- من 11 إلى 12 يومًا للذهاب إلى أغمات ، تامدولت أو فاس (في هذه تتبع المسار المعروف الرحلة).
- من20 يوما للوصول إلى سجلماسة في"Tatental" من الجنوب أو منها إلى طنجة إلى الشمال
- تقريبا 50 يومًا لربط القيروان أو أداغوست بسجيلماسة (Lessard, J.M.:5)

وحسب أحمد العلمي، كانت الطريق التجارية الكبرى التي تمر عبر سجلماسة ثم تابلبالا وتغازى، ومنها مباشرة نحو تومبوكتو، يتميز باختصار المسافة بين المغرب وحوض النيجر، إلا أن عدم وجود محطات للتبضع على طوله، جعل القوافل تفضل الخط الغربي، وغالبا ما كانت القوافل تغير اتجاهها عند وصولها إلى تغازى، فعوض أن تتجه مباشرة نحو تومبوكتو تأخذ طريق "ودان"، فتلتحق بالخط الغربي، وعبر طريقه تتمم المسير على الطريق المتجهة نحو تومبوكتو (علمي،أ.1999 -2000: 295).

د ـ أهمية العنصر البشري السجلماسي في تنشيط تجارة المدينة:

بلغ عدد سكان سجلماسة في أوج ازدهارها ثلاثون ألف نسمة وأحيانا أكثر بكثير، وكان سكانها يقبعون داخل الأسوار، وتجد للعائلات بها حقولها ومنازلها وأحيانا تجارتها، وكانت المدينة جد متحضرة ومحصنة، تزينها نافوراتها الجميلة (تاوشيخت، ل، **واحة** .1993م: 11)، أما دورها فكذلك كانت جميلة ورائعة (Augustin,B.1918:197)، سكنها الامازيغ الزناتيون إلى جانب صنهاجة

المنارة للاستشارات

والمصامدة، والأفارقة الذين تعود أصولهم إلى إفريقيا جنوب الصحراء، والعرب الذي جاؤوا للمنطقة أولا كفاتحين، ولم تخل كمثيلاتها من الحواضر المزدهرة من اليهود، وحتى من بعض الأندلسيين، خطت أنامل "كوك" التالي: "أما سجلماسة فكانت أكثر تأثرا بالأندلس، ويبدو،...، أن صناع الأندلس فضلا عن تجارها، وجدوا لهم سوقا رائجة، ومعاشا طيبا، وإقامة مريحة، فنفحوا المدينة بما عندهم لقاء ذلك كله" (كوك، م: 18)، واحتضنت أسوارها فئة الشرفاء، والحراطين (زيادة،ن.2002: 138) الذين تعاطوا الفلاحة (تاوشيخت، ل، **واحة** .1993م: 13)، فأسهم هذا الخليط العجيب في النهوض بمقامها، والرفع من شأنها التجاري نظرا لما أوردناه من اعتبارات سابقة، فلم يجد القلقشندي - والحالة هذه - ما يصفه به وضع المدينة سوى العبارات الآتية: "أهلها مياسير، ولها متاجر إلى بلاد السودان، يخرجون إليها بالملح والنحاس والودع، ويرجعون بالذهب التبر، قال بن سعيد: رأيت صكا لأحدهم على آخر مبلغه أربعون ألف دينار"(القلقشندي، أ.أ. 1915: 163 ؛ 197 : Augustin,B.1918)، ويضيف آخر: "نمت المدينة التي بنيت حوالي منتصف القرن الثامن بسرعة، ويعزى هذا النجاح إلى موقعها وديناميكية سكانها المكونين من عناصر محلية وأجنبية، ففي 757 -758 حدث في المغرب انطلاقا من سجلماسة بتافيلالت فتح طريق الذهب للقوافل المتجهة إلى بلاد السودان "(Hadrien,C : 23).

نظم الشاعر أبياتا في حق بلاد سجلماسة وأهلها، فضم صدر وعجوز قصيدته الأبيات التالية:

أيا راحلا يطوي المفاوز والقفرا	رشدت وألقيت السلامة والخيرا
ترحل وجد السير يوما وليلة	وسافر تجدما في مطالعها زهرا
تحمل حماك الله مني إلى الحمى	تحية مشتاق تهيجه الذكرا
وأم ديار الحي من سجلماسة	فتلك ديار تجمع العز والفخرا
وسلم على تلك الخيام وأهلها	سلام محب لم يطق عنهم صبرا
فعندي لهم حب جرى في جوارحي	ومازج مني العظم والدم والشعرا
فتلك بقاع الدين والخير والهدى	فكم مرتقي في سماها سمى بدرا
هم القوم لا يشقى بهم جلساؤهم	يوضع عبير الزهر من بينهم نشرا

هـ اندراس سجلماسة: غموض التبريرات في ظل تعدد الروايات(أهمية تغير

المنارة للاستشارات

مسار الطرق).

تبقى ظروف إندارس سجلماسة مبهمة غير معروفة بالتدقيق، اللهم بعض الإشارات المتناثرة والمتفرقة التي حاولت إيجاد تفسيرات متباينة لهذا الانهيار، لكن الظاهر أن تحول الطرق التجارية من القارة إلى البحر المحيط لعب دوره في هجرها، وانتقال الناس منها إلى غيرها، ذكر أحدهم ما يلي: "كل هذه التجارة تضاءلت مع فتح الممرات البحرية على الساحل الغربي لأفريقيا، ثم اختفت تدريجيا مع العقبات المتزايدة التي واجهتها التجارة في العبيد" (Augustin,B.1918 : 201) وفعلا ضعف نشاط خطوط التجارة الصحراوية المرتبطة بسجلماسة، القادمة من مدن شمال المغرب، وتلك التي تفد إليها من الشرق، فأثرت في تراجع مكانة هذه الحاضرة بشكل واضح في أواخر القرن 15م (بن ساعو، م.2013 -2014: 30)، يضاف إليها الانحطاط العام - وعلى كل المستويات - الذي عرفته الدولة المرينية في القرن15م، ثم الفشل الذي التصق بالمجهودات الإصلاحية لأمراء الدولة الوطاسية بعد سنة 1471م (المؤلف، م.1994: 12؛ مداد، ع.ق.1997 -1998: 53)، فكانت هذا جزءا لا يتجزأ من أسباب هذا التداعي والتراجع لمكانتها ووضعها، ومن جانب آخر، يتحدث ابن أبي محلي عن ريح حمراء ضربت سجلماسة على شكل زوابع رملية، دمرت جزء غير يسير من المدينة، علما أن المدينة بفضل موقعها في الصحراء، تعرف هبوب رياح عنيفة في فصل الصيف والخريف تعرف بـ "الشركي"، والتي غالبا ما تؤثر على النباتات التي تعاني أصلا من قلة الماء (واحيحي، س. 2005 -2006: 36).

ويضيف عبد "المجيد القادوري"، أن الأمر ظل قائما حتى بعد اندراس سجلماسة(قلة الماء)، ويتحدث على أن الثائر ابن أبي محلي غادر المدينة بسبب قلة هذه المادة الحيوية، وعزى بذلك أسباب دمار سجلماسة (القادوري، ع: 78) إلى ندرته، علما أن آخر العيون التي نضبت بمجال سجلماسة هي "عين تمدرين"، وذهب الوزان مذهبا مخالفا لكل ما سبق، عندما أرجع هذا الانهيار إلى ثورة الأهالي بعد موت أحمد ملك فاس، مما أدى إلى ثورة الإقليم، وقتل أهل بلاد تافيلالت الوالي المريني، بعدما قاموا بهدم سور المدينة (الوزان،ح.1983: 121)، فبقيت خالية الى أن جدد بعض مبانيها سلاطين الدولة العلوية، فتجمع الناس فبنوا قصورا ضخمة ضمن ممتلكات ومناطق الأقاليم، بعضها حر، والبعض الآخر

المنارة للاستشارات

خاضعا للأعراب، وذلك في أواخر القرن الثامن وبداية القرن التاسع الهجري (أواخر ق14 -15م)(حافظي، ع.ح. 1997: 412 -413).

تبقى إشارة "الوزان" مهمة في هذا الباب، وتظهر ما كان لعرب المعقل من دور في انهيار سجلماسة، مما جعل هذه المنطقة الحيوية (سجلماسة ـ تافيلالت) التي لعبت دور الوسيط التجاري بين شمال المغرب وبلاد السودان تحت رحمتهم(عرب المعقل)، وأفقد هؤلاء المخزن المريني قدرته على مراقبة هذا المجال الحيوي، فترتب عنها تراجع عائدات الدولة المرينية، لما كانت تمثل سجلماسة من مصدر مالي أساسي لخزينة دولتها، فعجزت الدولة المرينية عن تلبية جزء من النفقات الضرورية لأمور التسيير (حافظي، ع.ح. 1997: 409)بدءا من أواخر القرن 16م (Augustin,B.1918 : 197).

ونختم سلسلة الافتراضات بما أورده "واحيحي"، إذ ذكر سببا آخر يتمثل في قيام سكان الرتب ببناء مجموعة من القصور في قلب واحة تافيلالت، فقاموا بتشييد مجموعة من السدود والسواقي لتحويل مياه فيض واد زيز لصالح أراضيهم، وهو ما دفع هذا الباحث إلى الاعتقاد بأنه من بين الأسباب التي دفعت الأهالي إلى الثورة على الحاكم المريني بالمدينة، بسبب عدم ثنيهم عن هذه الخطوة الخطير في بلاد الجدب والجفاف، وفعلا كانت سببا في فتح الصراع مجددا بين الأحلاف وأولاد حسين (الوزان،ح.1983: 121؛ القادوري،ع.م:78)، ناهيك عن رواية أخرى تتحدث عن زلزال خطير أصاب البلد فتركها أثرا بعد عين(المتليني.ع. 2017: 84).

2 -خلافة قصر تابوعصامت لأدوار سجلماسة التاريخية:

أ -خلافة تابوعصامت لأدوار سجلماسة:

شكل انهيار سجلماسة وانتقال أدوارها إلى القصور المجاورة، السبب الرئيس لبزوغ نجم قصر تابوعصامت بالمنطقة خلال الفترة الحديثة، بحيث تتحدث مجموعة من المصادر التاريخية عن خلافته للعديد من هذه الأدوار، التي ظلت حكرا على مدينة سجلماسة طيلة العصر الوسيط، كما شاركه في الأدوار نفسها قصورا أخرى بتافيلالت، ومنها قصر "تنجيوت" و"قصر المامون" اللذان تحدثا عنهما الوزان، وفي وقت لاحق(القرن 19م) ستظهر القوة الاقتصادية لقصر "أبو عام"، هذا الأخير الذي بنى في نهاية القرن13وبداية ق 14م (حافظي، ع.ح. 1997: 112) بمقاطعة "واد إيفلي"، بحيث تتضارب الروايات حول تسميته، بين من يرجعها

المنارة للاستشارات

إلى محاصرته من قبل السلطان الأكحل (أبو الحسن المريني) لمدة سنة، وبين من يربطها بتلك القافلة التجارية المغربية السنوية التي تتجه نحو السودان، والتي أصبحت تحط رحالها بهذا القصر قبل إكمال طريقها، وبين من تحدث عن كونه جسد محلا لتدريس العلم من قبل جد الأشراف الحسنين "علي الشريف السجلماسي"، الذي عرف عنه تنظيم حياته وتقسيمها إلى ثلاث فترات بشكل دوري، فخصص السنة الأولى لتدريس القرآن، والثانية للحج، والثالثة للجهاد (تلامذة، ت.ض.2008 -2009: 4 -5)، واستمر هذا القصر (أبو عام) في القيام بهذا الدور التجاري إلى بداية القرن العشرين "تجارة المغرب مع السودان ظلت نشطة إلى حدما، بحيث قام بها المغاربة الذين يعيشون في الساحل، والذين ظلوا هم الناقلون للمنتجات المتداولة بين البلدين، يستقبل مغاربة الساحل تجار تافيلالت ودرعة وسوس، والتي غالبا ما تكون بضائع مصنعة مستقدمة من أوروبا، فيمكث هؤلاء التجار لعدة أشهر، يتشاركون التجارة مع أهالي هذه البلاد، ثم يعودون إلى المغرب محملين بالبضائع التي استوردوها وتبادلوها مع تجار السودان، وخاصة العبيد، والملح، والأقمشة الغينية، والذهب، والعاج، وريش النعام» (Le Capitaine,G.1904 : 45).

وبالرجوع إلى تابوعصامت، فقد بلغ هذا القصر أوج شهرته في الفترة الموالية لإندراس سجلماسة (المتليني، ع.ع.2017: 88)، حتى أصبح يلقب "بعاصمة تافيلالت"، ووصلت سمعته مناطق بعيدة، لذلك يمكن تلخيص الأدوار التي قام بها بعد انهيار سجلماسة في الآتي:

أ. أ) -**الدور التجاري**: ذكر الحسن بن محمد الوزان أن تابوعصامت اعتبرت من أكثر القصور التي عاينها -عند إقامته بقصر المأمون - حضارة، وفيه عدد كبير من التجار اليهود والأجانب(Meunier,J.1982 : 336) ، طبعا إلى جانب المسلمين، وقد ترتب عن هذا نشاط الحركة التجارية في هذا القصر، وأصبح مركزا مهما لاستراحة القوافل التجارية القادمة من درعة والسودان (بوعصب، أ: 37)، وعمل على استبدال مجموعة من المنتجات مع بلاد السودان والمراكز التجارية الأخرى بالمغرب، خصوصا المواد المتداولة آنذاك، ومنها القمح والتمر والملح، واستقدم تجاره من بلاد السودان الذهب والعبيد، فأشار "جاك مونيي" إلى هذين المنتوجين، كتجارة قامت بهام سجلماسة مع بلاد السودان في

المنارة للاستشارات

العصور السابقة، مما يؤكد خلافته لهذا الدور، وأيضا اعتمادا على ما ذكره الوزان (Meunier,J.1982 : 337)، وذهب "العربي مزين" في تفسير استجابة "أبي حسون السملالي" لطلب الإغاثة من قبل تابوعصامت ضد العلويين، إلى ارتباطها بما كان لهذا القصر من نفوذ اقتصادي (مزين، ع.1988 : 39) بالمنطقة.

أ. ب) - **سك العملة:** شهدت تابوعصامت وعلى غرار بعض القصور التي ذكرها الوزان سك العملة، وهو دليل على الاستقلال الذي تميزت به القصور المذكورة في تدبير شأنها الاقتصادي، وأشار إلى ذلك بقوله: "تضرب في هذه القصور سكة فضية وذهب يشبه المثاقيل البسلاتشي الخفيفة من الذهب الرديء، وتزن العملة الفضية الرفيعة أربع حبات، ويساوي ثمانون منها مثقالا" (الوزان،ح.1983 : 126)، وعلى ما أعتقد تبقى إشارة الحسن الوزان الوحيدة في هذا الميدان، ولهذا ما يعضده في الحديث عن الحضور الاقتصادي لتابوعصامت (المتليني،ع.ع.2017: 89 -90).

أ. ج) - **احتضان الحرف** (بوعصب،أ: 37)**والصناعة:** ذكر الوزان في معرض حديثه عن أهمية تابوعصامت الاقتصادية، احتضانه لمجموعة من التجار المسلمين والأجانب (المتليني،ع.ع.2017: 125)، وأضاف لحسن تاوشيخت أن تابوعصامت لعبت دورا أساسا في هذا الميدان، منذ نهاية الدولة السعدية وإلى بداية الدولة العلوية، وانعكس هذا الدور على التكتلات السياسية والاقتصادية السائدة في القسم الجنوبي للمغرب آنذاك، خصوصا أن تابوعصامت كان مركزا تجاريا وحرفيا نشيطا (تاوشيخت،ل.عمران.2008 : 50)، والظاهر أن أنواعا من منتوجات الحرف والصنائع كانت توجه إلى الأسواق المحلية خلال الفترة الموالية لاندراس سجلماسة، بعدما سجلت تافيلالت تراجعا تجاريا، تزامن مع تمكن الأوربيين من الوصول مباشرة إلى بلاد السودان، وانتقال التجارة معها إلى الغرب، ثم بسبب ما خلفته ضغوط جموع المعقل على مناطق الواحات في النصف الثاني من القرن 8هـ/14م (حافظي، ع.ح. 1997 : 409)، ناهيك عن انحراف التجارة نحو الشرق، والتي أثرت بالسلب -عموما -على تراجع دور المغرب الأقصى ككل في التجارة الصحراوية (حافظي، ع.ح. 1997 : 419).

أ. د) - **احتضان عدد كبير من السكان واتساع المجال الحضري:** يقول الوزان: "...، والثاني يسمى تابوعصامت وهو على بعد نحو ثمانية أميال جنوب

المنارة للاستشارات

القصر السابق، وهو أكبر منه وأكثر حضارة"(الوزان،ح.1983: 124)، إذ يوضح هذا النص أن العديد من سكان سجلماسة (تافيلالت) توجهوا نحو تابوعصامت، لما تتميز به من عوامل جذب سبق وأن ذكرناها، وعلى الرغم من كون تأسيس تابوعصامت وقصور أخرى سابق لهذه الفترة، فقد ساعد هذا الوضع على جعل تابوعصامت أحد أكبر القصور الفيلالية مساحة وأكثفها سكانا، وقد أحصى تاوشيخت عدد سكانها، عند إنجازه لبحثه المسمى "عمران سجلماسة: دراسة تاريخية وأثرية"، وجعله تقريبا أربعة آلاف نسمة (تاوشيخت،ل.عمران.2008: 480)، فدل هذا على أن هذا العدد من السكان لا يمكن إلا أن يكون استمرار للكثافة الكبيرة التي احتضنتها سجلماسة، كما أكد الوزان ذلك في قوله: "ويوجد في الواقع من السكان في هذا القصر أكثر من كل بقية الإقليم" (الوزان،ح.1983: 125)، وتألفت الساكنة من فئات متنوعة من حيث أصولها وفئاتها الاجتماعية كما أوضحنا ذلك، وبهذا العدد من السكان أصبح قصر تابوعصامت أهم قصر بتافيلالت إبان هذه الفترة (Meunier,J.1982 : 336).

ب - قيادة تابوعصامت لتافيلالت:

تمكن قصر تابوعصامت من قيادة تافيلالت بعد اندراس سجلماسة سنة 796هـ/1393م، حتى أنه أصبح يعرف بمدينة تافيلالت أو "عاصمة تافيلالت" (واحيحي،س. 2005 -2006: 51)، ويضيف هذا الباحث أن الشهرة التي حققها هذا القصر مكنته خلال القرن 15م، من أن يكون مهبط لركب الحجيج (بوعصب،أ: 38) الذي كان يجسد أحد أشهر الركاب في المغرب، إلى جانب الركب الفاسي، أما D.J. Meunie فوصفه بما يلي: "من القصور الجديدة تابوعصامت، مركز حكم تافيلالت خلال القرنين 16 و 17 الميلاديين، الذي يعود بناؤه إلى الفترة الممتدة بين 1390 و1400م، أي في نفس فترة اندارس سجلماسة" (Meunier,J.1982 : 297-298)، وربما اكتسب هذا القصر (تابوعصامت) هذه المكانة من الدعم الذي كانت توفره قصور السفالات له (Meunier,J. Sur .1962 : 336)، يقول العربي مزين: "وعادة ما يشكل السفالات حليفا سياسيا معارضا لباقي المناطق الأخرى"، ولعل هذا الدور هو الذي الذي جعل تابوعصامت ينسج علاقات سياسية مع القوى المحلية والجهوية القائمة آنذاك (الدلائيون والسملاليون)، ويغريها بالتحالف للدفاع عن مصالحه الاقتصادية

المنارة للاستشارات

ثم السياسية بالمنطقة في مطلع القرن 17م، أوردت بعض الدراسات النص التالي: "امتد تأثير الدلاء أيضًا إلى الجنوب من الأطلس الكبير، وفي عام 1632م، طلب بنو الزبير من تابوعصامت (بتافيلالت) دعم الزاوية لمقاومة المشاريع المشتركة للشيخ الفيلالي مولاي الشريف، والمرابط سيدي علي بن محمد، فالتقى الجيشان بالقرب من سجلماسة وانفصلا دون قتال[يقصد مع جيش السوس بتوجيه من ابي حسون السملالي" (Le Comte,H.C.1905-1926)، وخاصة بعد موت أحمد المنصور السعدي(1603م)، بسبب تقسيم المغرب بين أبناء هذا السلطان، وانشطاره إلى مجالين منفصلين سياسيا، أحدهما عاصمته مراكش، والآخر فاس (اليوبي،ل.1998: 22؛ 108 : Célérier,J.1927).

ج -الحضور والغياب السياسي والاقتصادي لتابوعصامت بعد اندراس سجلماسة:

ظلت تابوعصامت القصر الرئيس بتافيلالت منذ انهيار سجلماسة سنة 1393م حسب معظم الدارسين، واستمر يتصدر قصور المنطقة -تجاريا وسياسيا - إلى غاية قيام دولة الأشراف العلويين بتافيلات قبيل منتصف القرن 17 بزمن قصير، أي أن هذه المكانة استمرت إلى غاية استيلاء المولى أمحمد بن الشريف على القصر(1937م)، بعد صراع واقتتال مريرين بين الأشراف الحسنيين وآل الزبير المدعومين من قبل قصور السفلات، وعلى الرغم من أن الحادث –فتك المولى أمحمد بسكان قصر تابوعصامت - قد أثار حفيظة السملاليين بسوس(Hamet,I.1911 : 579) ، والذين عملوا على أسر أبيه(مولاي الشريف) بمساعدة سكان قصر تابوعصامت سنة 1047هـ/1637م، ومقايضته بمقابل مالي ضخم لإطلاق صراحه، فإن ذلك لم يعد للقصر بريقه(الناصري، أ.خ. 2007: 12)، لكن حضور قوى على شاكلة السملاليين والدلاء للمنطقة في هذا الظرف، ودعم كل منها لأحد طرفي الصراع، يؤكد بما لا يدع مجالا للشك ما كان لتابوعصامت من حضور اقتصادي وسياسي وحضاري وازن بالمنطقة ، وعند هؤلاء أوائل العصر الحديث، الذي أهلها فيما بعد إندراس سجلماسة لأن تقود تافيلالت طيلة هذه المدة، أو على الأقل لأن تكون أبرز قصر بمجالها الجغرافي.

أضحى قصر تابوعصامت يقوم ببعض الأدوار التي كانت تقوم بها سجلماسة في العصر الوسيط خلال العصر الحديث، ذلك أن الظروف التي أدت

المنارة للاستشارات

إلى ظهور سجلماسة كمركز تجاري وسياسي مهم بالمغرب الأقصى الوسيط، هي نفسها التي أسهمت في ظهور تابوعصامت في الفترة الحديثة(العصر الحديث)، فتابوعصامت تشبه سجلماسة من حيث موقعها، فإذا كانت سجلماسة تقع في منطقة وسيطة بالنسبة للمغرب الحالي (ناعيمي،م.1988: 23)، فكذلك الحال بالنسبة لتابوعصامت في تافيلالت، بل إن الخريطة الجغرافية للمنطقة تجعل تابوعصامت، تتموقع في مركزها أو قريبا منه، ويتشابهان في العنصر المرتبط بموقع كل منهما في خطوط التجارة الصحراوية، إذ كلاهما يتموضع على أطراف التجارة الصحراوية المتجهة نحو السودان.

سيتراجع هذا الحضور لصالح قصر آخر في مرحلة موالية، هذا القصر هو "أبو عام"، الذي سيضطلع بالريادة الاقتصادية بتافيلالت بعد تراجع دور تابوعصامت، فقد شكل منافسا قويا له حتى في بعض فترات ازدهاره (إزدهار تابوعصامت)، وساعد على ذلك وجوده في قلب واحة تافيلالت(المقصود أبوعام)، وقربه من مركز سجلماسة التاريخي، مما مكنه من أن يصبح سوقا كبيرا، وصلة وصل بين مختلف طرق القوافل التجارية شمالا وجنوبا، وشرقا وغربا، وفي اتجاه أهم المدن كفاس ومراكش، ودرعة ثم تلمسان، وأيضا توات وكورارة، وتمبوكتو وغيرها (تاوشيخت،ل.عمران.2008: 488؛ واحيحي،س. 2005 - 2006: 171)، كما شكل هذا القصر(أبو عام) حلقة أساسية فيما كان يعرف بطريق السلطان (انظر التعليق رقم: 3) (لوطورنو،ر.1986: 599)، ومما اشتهر به "أبو عام" حسب "تاوشيخت" تجارة العبيد، ومستنده في ذلك رجالات الاستعلامات الفرنسية، الذين أسهبوا في وصف النشاط التجاري لهذا القصر في القرن 13هـ/19م، يقول: "إن سوق "أبو عام" كان يعرف رواجا مهما، فالقوافل الكثيرة الآتية من المدن الصحراوية، مثل "تاغبالت" و"تزمي"، وأيضا في درعة تجلب الحناء وتشتري ما تحتاجه من الحاجيات، كما أن الرحل يقومون بتبادل ماشيتهم والأكسية مقابل تمور وحبوب سكان القصور، أو مقابل القطن والسكر والشاي والشموع من عند التجار" (تاوشيخت،ل.عمران.2008: 488)، ويضيف باحث آخر في هذا السياق: "في بداية القرن التاسع عشر، أعلن رينيه كايلي أن تافيلالت قامت بالكثير من التجارة مع السودان ووهران، ترسل البضائع من أوروبا إلى هناك وتستقبل العبيد. وفي عام 1894م لاحظ هاريس في وقت مروره، عرض عدد

المنارة للاستشارات

كبير من العبيد للبيع في محلة السلطان"(تجارة الزنوج)،" فقال: "تزدهر هذه التجارة في تافيلالت بحيث يتم جلب العبيد هناك مباشرة من السودان". (Augustin, B.1918: 201).

إن الدور الذي أصبح يمثله قصر "أبو عام" ساهم في أفول نجم قصر تابوعصامت في التجارة العابرة للمنطقة، وفي الإنتاج بتافيلالت عموما في القرن19م وبداية القرن العشرين، بحيث عرف قصر "أبو عام" رواجا كبيرا لسلع السودان في هذه الفترة، فقد كانت القوافل التجارية القادمة من فاس (علمي، أ.1999 -2000: 311) التي يقودها الفيلاليون أو بعض التجار الفاسيين، تحط الرحال بهذا القصر، قبل أن تواصل مسيرها نحو الشمال (حافظي، ع.ج. 1997: 128 -129)، أو في اتجاه الجنوب، وتؤكد هذه المعطيات مجموعة من الرسائل السلطانية التي تزامن إصدارها مع ما كان لهذا القصر من قوة اقتصادية بتافيلالت.

وقد جاء في أحدها ما يلي: "الحمد لله وحده، وصلى الله عليه وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه، ولدنا البار الأرضى، سيدي محمد أصلحك الله وسلام عليك، ...، وبعد: فإن ولد عمنا سيدي الأمين بن الطاهر، أخبر بأن أهل أبي عام لازالوا على غيهم وفسادهم، ورتب لهم أهل فاس الذين عندهم مثقالا عن كل حمل يرد عليهم من السلع، يستفيدون بذلك على ما هم بصدده من الخلاف والفساد، وطلب منع أصحابهم بفاس من توجيه السلع إليهم، ما داموا عندهم حتى ينتقلوا لواد إفلي، وينكفوا عن فعلهم، وهناك تشرح لهم، وقد طلب توجيه الكتاب إليك تحت يده، فإن ورد عليك فافعل بمقتضاه، وكتبنا إليك هذا لتكون على بصيرة، ...، والسلام"، في 28 ربيع الأول النبوي الأنور عام1263هـ (الوثائق. م، 116).

إن فكرة محتوى هذه الوثيقة، تعبر عن تلك الصلة التي كانت تربط تجارة فاس بتجار "أبو عام"، وتؤكد صدق ما ذهبت إليه الدراسات المعتمدة في إبراز دور هذا القصر في الفترة الموالية لأفول نجم قصر تابوعصامت.

بقيت الإشارة إلى أن عوامل تراجع تابوعصامت عن قيادة تافيلالت في الفترة التي ظهر فيها قصر "أبو عام" في الساحة الاقتصادية الفيلالية

المنارة للاستشارات

غير محددة بالضبط، وتبقى الإشارة الواردة أعلاه نوعا من الاجتهاد المبنى على ما أوردت الدراسات بهذا الخصوص، واستنادا إلى عدة رسائل سلطانية وصفت القصر الأخير بالازدهار في الحياة الاقتصادية لتافيلالت، والى يومنا هذا ما تزال الأسر التي تقيم بهذا القصر من أغنى الأسر الفيلالية محليا ، بل إن بعضها يمتلك تجارة تعبر عما كان لهذا القصر من ازدهار في فترات سابقة(المتليني، ع. 2017: 94 -95).

خاتمة:

شكل النقل والتنقل ببلاد سجلماسة عنصرا مهما في ازدهار وتقدم هذه الحاضرة عبر التاريخ، وقد تعددت -كما أسلفنا - عوامل أفول نجم مدينة سجلماسة، لكن تافيلالت ظلت باقية مستمسكة بأدوارها التجارية في تجارة الصحراء، وان كان السجلماسيون قد تفرقوا في القصور التي انتقل إليها سكان المدينة بعد تدميرها أو دمارها، بحسب ما ذهبت إليه بعض أطاريح تفسير ما بعد انهيار سجلماسة، فغريزة ممارسة التجارة التي عرف بها هؤلاء القوم، والتفنن في مراكمة الأرباح الطائلة من وراء هذا النشاط الاقتصادي المبارك، قضية لا يختلف حولها اثنان، فكان هذا النشاط هنا مرتبط بنقل الخبرات عبر الأجيال، ومن السلف إلى الخلف، فبرزت في هذا السياق قصور بهذه البلاد القاصية حفظت لتافيلالت نوعا من مكانتها وأدوارها في جميع المجالات، ولكن ليس بنفس المستوى والكثافة، ولكن بما يحفظ القيمة التاريخية للأدوار التجارية لهذه المنطقة في علاقته بحواضر المغرب نفسه، أو افريقية جنوب الصحراء(السودان)، وحتى مع المراكز التجارية لبلدان الجوار الشمال إفريقية، هذه القصور على الأقل هي قصر تابوعصامت منذ ما بعد انهيار سجلماسة، ثم أبوعام منذ القرن التاسع عشر، فكان هذا أوضح تعبير، وأصدق نبأ عن عدم ترك القوافل التجارية لطريقها نحو سجلماسة(تافيلالت) مع تغيرات الأحوال، وتقلبات قواعد الممارسة التجارية نحو بلاد السودان ما بعد حث النهضة والاكتشافات الجغرافية الأوروبية(الوصول عبر السفن المتطورة إلى بلاد السودان مباشرة عن طريق البحر).

المنارة للاستشارات

التعليقات:

1 - أولها "الشاكرية" نسبة للشاكر لله المذراري، وكانت ذهبية أو فضية وحتى نحاسية.

2 -يحدد مراكز مرور التجار والقوافل على المسار التالي: سجلماسة، فبوسمغون، فالغاسول، فعين ماضي، فالاغواط ، فالهرج ، فسيدي خالد، ثم بسكرة، ومنها تنطلق طريق نحو تلمسان.

3 - ويضيف، كانت الطريق من فاس في اتجاه صفرو، فتاغزوت عند آيت مكيلد، أنجيل فيما وراء مضايق رصيفة، ثم بقصابي الشرفاء عند وادي ملوية، وبالنزالة عند مضايق تلغمت، وبجرس عند ناحية الريش، وبتعلالين شمال قصر السوق، وصولا إلى سيدي بوعبد الله في مدغرة، وبالدويرة في الرتب، فالمعاضيد ومنه إلى أبو عام.

المصادر والمراجع:

1 -البكري أبي عبيد ، **المسالك والممالك**، تحقيق أذريان فان ليوفن وأندري فيري، (دون تاريخ)، تونس: الدار العربية للكتاب.

2 -تاوشيخت لحسن، "واحة تافيلالت بين الأمس واليوم"، **المجال والمجتمع بالواحات المغربية**، منشورات كلية الآداب مكناس، سلسلة الندوات رقم 6، 1993م.

3 -تاوشيخت لحسن، (1429 هـ/2008م)، **عمران سجلماسة: دراسة تاريخية وأثرية**، الطبعة الأولى، الدار البيضاء: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة، (ج2).

4 -تلامذة، (2009/2008م)، **القصور العلوية بتافيلالت مظهر من مظاهر الحضارة المغربية: قصر مولاي علي الشريف (أبو عام) بالريصاني نموذجا**، تحت إشراف الأستاذ عبد الله ستيتو، الريصاني: الثانوية التأهيلية الضريح.

5 -الحافظي علوي حسن، (1418هـ/1997)، **سجلماسة وإقليمها في ق 5 هـ/11م**، المملكة المغربية: منشورات وزارة الأوقات والشؤون الإسلامية .

6 -بن خروف عمار، (1403هـ/1983م)، **العلاقات المغربية الجزائرية963 - 1069هـ/1517 -1659م**، رسالة غير منشورة لنيل الماجستير في (التاريخ)، كلية الآداب دمشق، سوريا.

المنارة للاستشارات

7 -بن دادة نوال، (1435 -1436هـ/2014 -2015م)، **إقليم سجلماسة وأثره على الحركة التجارية في العصر الوسيط خلال الفترة مابين 2 - 8هـ/ 8 - 14م**، بحث غير منشورة لنيل شهادة الماستر في (التاريخ)، كلية الآداب، جامعة طاهر مولاي سعيدة، الجزائر.

8 -زيادة نقولا، (2002)، **إفريقيات: دراسات في المغرب الغربي والسودان الغربي**، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع .

9 -بن ساعو محمد، (2013 -2014م)، **التجارة والتجار في المغرب الإسلامي(07 -10هـ/13 -15م)**، مذكرة غير منشورة لنيل شهادة الماجستير في (التاريخ)، كلية العلوم الإنسانية باتنة، الجزائر.

10 - العربي مزين، (1988م)، بداية الدولة العلوية بتافيلالت 1631 -1664م، **ندوة نشأة الدولة العلوية**، الريصاني.

11 -بو عصب أمبارك، (...) **مساهمة في دراسة قصور تافيلالت: من سقوط سجلماسة إلى نهاية القرن 20م - التاريخ والمعمار والإنقاذ**، أطروحة غير منشورة لنيل الدكتوراه في (التاريخ)، كلية الآداب سايس - فاس، المغرب.

12 - العلمي أحمد، (1999 -2000م)، **النقل والتنقل في المغرب خلال القرن التاسع عشر**، أطروحة غير منشورة لنيل الدكتوراه في (التاريخ المعاصر)، كلية الآداب ظهر المهراز فاس، الجزء الثاني.

13 - القدوري عبد المجيد، (دون تاريخ)، **ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الأصيلت الخريت**، منشورات عكاظ.

14 -القلقشندي ابو العباس أحمد، (1915م) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة: المطبعة الأميرية، ج5.

15 -لوطورنو روجي، (1406هـ/1986م)، **فاس قبل الحماية**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، الجزء الأول.

16 -ماك كوك، (دون تاريخ)، **الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة**، تعريب وتعليق محمد الحمداوي، الدار البيضاء: دار الثقافة.

17 -المتليني عبد العالي، (2017م)، **تابوعصامت: دراسة عمرانية وتاريخية**، مكناس: مطبعة سجلماسة.

18 -مداد عبد القادر، (1997 -1998م)، **شبكة المواصلات بالمغرب خلال**

المنارة للاستشارات

التاسع والعاشر الهجريين 15 و16م، رسالة غير منشورة لنيل دبلوم الدراسات العليا في(التاريخ)، كلية الآداب ظهر المهراز فاس، المغرب.

19 -المؤلف المجهول،(1994م)، **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تحقيق عبد الرحيم بنحادة، الطبعة الأولى، مراكش: دار تنمل للطباعة والنشر.

20 -الناصري أحمد بن خالد،(2007)، **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، تحقيق محمد عثمان، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ج 3.

21 -ناعيمي مصطفى،(23 إلى 27 مارس 1988)، "سجلماسة ونول لمطة من خلال الوثائق التاريخية والحفريات"، **ندوة سجلماسة تاريخيا وأثريا**، الريصاني: وزارة الثقافة، ص ص23 -26.

22 -الوثائق الملكية، **سجل بالخزانة الحسنية**، بمركز الدراسات والأبحاث العلوية بالريصاني، رقم 116.

23 -وحيحي سعيد،(1426 -1427هـ/ 2005 -2006م)، **سجلماسة من اندراس المدينة إلى واحة القصور(796هـ/1993م، إلى أواخر القرن 11هـ/17م)**، أطروحة غير منشورة لنيل الدكتوراه في (التاريخ الحديث)، كلية الآداب ظهر المهراز فاس، المغرب.

24 -الوزان الحسن،(1983م)، **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج 2.

25 -اليوبي لحسن،(1419هـ /1998م)، **الفتاوي الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية.

المراجع باللغة الأجنبية:

26- Augustin, Bernard et Joly Ch.-AL., Le Tafilalet et Sidjilmassa , **France-Maroc**, N°7, 15 Juillet 1918,[197-205].

27- Célérier. J, Bibliographie, **Hespéris**, TomeVII, Paris: 1927,[107-116].

28- Girard, Le Capitaine, ***Etude sur le Maroc***, Paris: Librairie militaire R Chapelot et Ce, 1904.

29- Hadrien, Collet, ***Sijilmasa et le commerce avec le bilad al-Sudan d'après les textes arabes (8e-14e siècle /2e-7e siècle de l'Hégire), Sijilmassa porte de L'Afrique :patrimoine en partage – site en péril***, Académie du Royaume de Maroc, sans date,[13-23].

30- Hamet, Ismaël, ***Histoire Maghreb***, Paris: Editions Ernest Leroux, 1923.

31- Bescond, Jean-Pierre, ***Le Plomb dans le cercle D'Erfoud***, memoires

المنارة للاستشارات

de Stage, 2345 2mi (microfilm), A.D.N, 1953.
32- Le Comte Henry de Castries, ***Les sources inédites de l'histoire du Maroc***, Tome3,Archives et bibliothèques de France, 1905-1926.
33- Le Comté Henry de Castries, ***Les Sources inédites L'histoire du Maroc***, Tome3, Paris: Ernest Leroux Editeur, 1911.
34- Lessard, Jean-Michel, Sijilmassa : la ville et ses relations commerciales au XIe Siècle d'après EL Bakri, **Héspress Tumuda** , Vol.X, Fasc.1-2, [5-36].
35- Meunié D.J, **Sur l'architecture du Tafilalt et de Sijilmassa (Maroc Saharien)**, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, N. 2, 106e année, 1962.[132-147].
36- Meunier D.J., ***Le Maroc saharien d'origine 1680 (avec cinquante cinq documents photographiques inédits de l'auteur*)**, libraire klincksieck,1982.

المنارة للاستشارات